« وما فعلهُ باين في السياسة فعلهُ في الديانة اي التعاليم الدينية فان اعداء الديانة كانوا يحاربونها خفية بالاستعارات والكنايات وهم يتملقون رجالها لكي لا يتهموا بالكفر ولذلك لم يكن رجال الدين يخشون بأسهم . اما باين فجرَّد قلمهُ وتكلم واثار حرباً شعواء في رائعة النهار ولم يبقِ للصلح مكاناً وساعدهُ على قصدهِ انسجام عبارتهِ وبلاغة انشائهِ وشعور القارىء ان الكاتب يكتب ما يعتقدهُ ويقصد اقناع قارئهِ به مع انهُ كان قليل المعارف غير متضلع من العلوم

وبالجملة كان لباين اليد الطولى في أكبر ثورتين سياسيتين وفي ثورة دينية لا تقلُّ عنهما شأناً ومَن يقرأ كتبهُ الآن لا يجد فيها التفاعل الذي وجدهُ معاصروهُ »

والرجل الثاني دارون الواسع العلم الواسع الخبرة وقد اثار اعظم حرب علمية ودينية وادبية وهو يساعد الفوس ويتفق على المبشرين لا نفاقاً بل اعتقاداً منهُ انهم يعملون اجلَّ عمل في ترقية نوع الانسان . وسيرتهُ واعمالهُ تقتضي مقالاً طويلاً فنرجئها الى الجزء التالي

اصلاح نسل الانسان

كان للمقالة التي نشرناها في الجزء الاخير من المقتطف وموضوعها « نيتشه وابن الانسان » وقع حسن لدى جمهور العلماء والادباء كما قال لنا بعضهم لان مسألة اصلاح النسل من اهم المسائل التي اهملها الانسان وكان الواجب عليهِ ان يقدمها على كل مسألة سواها . ويظهر لنا من مطالعة الصحف الاوربية ان الجزء الاول الذي صدر من مجلة « اصلاح النسل » (المجلة اليوجينية) وقع احسن وقع لما تضمنهُ من المباحث الجليلة المفيدة . فقد كتب صديقنا المستر فرنسيس غلتن محرر هذه المجلة يقول ان مدارها واسع يشمل مختلف المواضيع ومباحثها تشمل اولاً علم البيولوجيا من حيث علاقتهُ بالوراثة والانتخاب . وثانياً علم الانثروبولوجيا من حيث ايضاحهُ مسائل طوائف الناس وسنن الزواج . وثالثاً علم السياسة بمعناها القديم المطلق من حيث حقوق الوالدين المدنية . ورابعاً علم الاخلاق من حيث تقوية الملكات الآيلة الى اصلاح الهيئة الاجتماعية . وخامساً المواضيع الدينية التي تقوي وتطهر الاميال اللازمة لاصلاح النسل

فللوراثة شأن كبير لا ينكر ولكن الاحوال التي تحيط بالوالدين تؤثر في الاميال التي تكون كامنة في النسل وقت الولادة وتتنوع بتنوع الاحوال بعد الولادة ولذلك تشير هذه المجلة بكل اصلاح اجتماعي من شأنهِ تقوية الاميال الآيلة الى نفع المجتمع الانساني وكبح الاميال التي تضرُّ بهِ . وتعضد الرأي العام القائل ان العقل السليم يكون في الجسم

السليم من غير ان تهمل ما يلزم لتقوية القسم الروحي من طبيعة الانسان لان اهميته لا تقل عن اهمية القسم المادي . وتبذل اقصى الجهد في اقناع الناس من كل الطبقات بفضل الزواج وولادة الاولاد ولزومهما لارتقاء الامة

وقال في منع موت الاطفال ان السبيل الى هذا المنع يقوم بتغذية الاطفال التغذية الكافية الصالحة وهذا موضوع يجهله الاكثرون فمجال القول فيه متسع ويجب ايضاحه بكل واسطة ممكنة . ولقد قال احد اعضاء جمعيتنا انه يجب ان نبث مبدأ اصلاح النسل في ضمير العمران كأنه دين جديد — دين سام صارم لانه يستلزم العفة التامة والتمسك بمرى الفضائل — دين يرمي الى غرض من اشرف الاغراض وهذا الغرض مداره ارضي ولكن غايته سموية وطوبى للامة التي تجري وراءه وتدركه

وحالما تصير امم الارض تباري في اصلاح النسل لا في اعداد الجيوش والاساطيل تصير تضن بفلذات اكبادها وازهار صباها على الحروب وويلاتها . ثم ان عددها لا يعود يتجاوز حدود بلادها حتى تطمع باستلاك بلاد غيرها وتخاصم وتتلاحم لكي تغتصب ربوعاً ليست لها . فاصلاح النسل يأتي بزكة جديدة على نوع الانسان لانه يكون رائد السلم في العالم

وكتب الدكتور انج استاذ اللاهوت في جامعة كمبردج مقالة قال فيها « ان غرض كل الفضائل الاجتماعية خير نوع الانسان . وعلم اصلاح النسل يرمي الى هذا الغرض لا الى غيره ولذلك فالفضائل الاجتماعية وعلم اصلاح النسل متحدة معاً ولا يمكن الفصل بينها . لانها كلها ترمي الى غرض واحد وهو اصلاح الانسان . فان العالم البيولوجي (اي العالم بعلم طبائع الحيوان) والعالم الاخلاقي (اي العالم بالفلسفة الادبية التي تعلم وجوب الجري على قوانين الآداب والفضائل النفسية) يقولان ان ارتقاء البلدان لا يقاس بمقدار صادراتها ووارداتها ولا بمقدار ثروتها وقوتها الحربية والبحرية ولا بانتشار العلوم فيها ولا بحرية اهلها السياسية بل بنوع الرجال والنساء الذين تربيهم . فان الارتقاء في عرف العالم البيولوجي والعالم الاخلاقي هو صلاح الناس انفسهم لاصلاح الاحوال التي هم فيها . وكلاهما متفق مع هربرت سبنسر على انه لا يمكن انتاج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية . فاذا كان الناس منحطين فالامة التي تتألف منهم منحطة ولا يمكن للوسائل السياسية ان تكون امة مرتقية من الناس منحطين

« ولا جدال في ان الغرض الذي يتوخاه علم الاجتماع وعلم اصلاح النسل هو ان يبلغ سكان الارض في عددهم ما تحتمله الارض من السكان ما دامت صالحة لسكن الانسان وان هؤلاء السكان يبلغون الغاية التي خلق لاجلها الانسان . ولا يجوز لنا ان نضحي الحاضر لاجل المستقبل

ولا ان نضحي المستقبل لاجل الحاضر فان من يولد بعد عشرة آلاف سنة لا يحق له ان ينال من اهتمامنا اكثر ممن يولد اليوم ولا اقل منه. وغرضنا نوع الانسان كله في حاضره ومستقبله

والآن لا يفرض على كل احد ان يتزوج ويخلف نسلاً ولو كان من الذين يشير المستر غلتن بزواجهم لاخلاف النسل بل هم احرار من هذا القبيل ولو ارادوا الترهب ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول لمن كانت بنيته الجسدية والعقلية على ما يرام تزوج واخلف نسلاً لان ذلك مطلوب منك لامتك وبلادك. وليس من اغراض جمعيتنا ان تشير بشيء يضاد قوانين الآداب والطهارة العائلية كلاً ولا نحن ممن يشير بشيء متناقض للحرية الشخصية وغاية ما في الامر اننا نشير ونصح بما فيه النفع للانسان ونسله. ولكن يحق لنا ان نطالب كل انسان غير صالح بما يضحيه لاجل الصلاح »

وقد انتقد البعض على جمعية اصلاح النسل ان غرضها مادي محض فكتب المستر كراكتورب ينفي ذلك وقال على سبيل الاستفهام الانكاري «هل يعد مادياً من يقنع الناس من كل الطبقات بما للوالدين وما عليهم. هل يعد مادياً من يقول ان الزواج الجاري الآن لا ينتج دائماً نسلاً صالحاً. هل يعد مادياً من يقول انه يجب على بعض الناس في بعض الاحوال ان يقتصروا على القليل من الاولاد. هل يعد مادياً من يرسخ في العقول ان الاعتناء بالاطفال بعد ولادتهم وقبلها من المسائل التي يجب ان تهتم بها الحكومة اذا قصر الشعب عن الاهتمام بها. هل يعد مادياً من يقنع الناس بان مستقبل العالم امجد مما يحسبون ويجعلهم يثوقون الى ذلك المستقبل المجيد ويسعون الى تحقيقه بكل جهدهم »

هذا ومما لا مشاحة فيه ان الناس يعتنون بمزروعاتهم ومواشيهم اكثر مما يعتنون بنسلهم فينتقون البذار (التقاوي) من اجود الانواع لكي تجود الزراعة ويعتنون بخدمتها اكثر مما يعتنون باولادهم وهذا شأنهم في الاعتناء بمواشيهم وخدمتها. والحكومة تهتم بالمزروعات والمواشي اكثر مما تهتم بالسكان. ولا يحق لاحد ان يقيد حرية الناس فيقول هذا يجب ان يتزوج ويخلف نسلاً وهذا يجب ان لا يتزوج ولا يخلف نسلاً كما نقول عن البزور والمواشي ولكن يحق لنا ان نقول لكل احد ان تربية الاولاد على هذه الصورة تشوههم وتصلحهم وتربيتهم على تلك الصورة تضعفهم وتفسدهم. ويحق لنا ايضاً ان نقول للسقيم والمعتوه انك ان تزوجت واخلفت نسلاً اكثرت السقماء والمعتوهين في الامة وان نقول للحكومة انك ان لم تهتمي بتربية ابناء امتك جسداً وعقلاً ضعفت وانحطت من مصاف الامم الراقية. لان هذه الامور من الحقائق العلمية المثبتة وكل من يعلمها مطالب باذاعتها